### في ذكرى رحيله السادسة عشرة 14 أكتوبر تفتح أرشيف الفنان الراحل محمد سعد صنعاني

# الأستاذ الصنعاني وقراءة في تاريخ الأغنية اليمنية

## في اليمن خمسة ألوان غنائية تختلف باختلاف إيقاعاتها وأدبها

**في مقابلة أجرتها معه مجلة الفنون عام ١٩٨٥م تحدث الأستاذ الفنان الراحل محمد سعد صنعاني عن تاريخ الأغنية اليمنية وكان حديثاً محيطاً بفنون الألحان وقواعدها ويعد مرجعاً للفنانين ومؤرخي الفن الغنائي. ١٤ أكتوبر تعيد نشر اللقاء الصحفي لإحياء ذكرى الفنان الراحل وتعميما للفائدة وفيما يلي نص اللقاء.**

ما يميز محمد سعد الصنعاني الفنان والملحن أنه كثير الاستماع إلى الموسيقى المحلية والعالمية، يطرب للجيد منها، يحللها ويجعلها أساس تفكيره وهمه في آن واحد.

في الحوطة عاصمة مديرية تبن محافظة لحج يكاد منزل محمد سعد الصنعاني المتواضع أن يكون معروفاً لكل صغير وكبير وله وقع خاص عند كل من يقترب منه وهو صدوح الموسيقى العالية من جهاز التسجيل يقبع في غرفة خاصة به، يستمع من خلاله ويسمع غيره، ويشرح لكل من يريد أن يعرف جودة تلك الألحان وسر عذوبتها وانتشارها عالمياً.

إنه محيط بفنون الألحان وقواعد التلحين، وله في هذا المجال باع كبير، فهو مدرس للموسيقى في المركز الثقافي في المحافظة ومرشد للموسيقيين فيها ومرجع للفنانين ومؤرخي الفن الغنائي في اليمن بأنواعه وأشكاله المتعددة، حتى أصبح الصنعاني أحد كبار ملحني الأغنية اللحجية ذات الطابع المتميز والفريد بدون منازع منذ أكثر من ٥٠ عاماً والصنعاني يغني ويلحن وهي في التلحين أكثر منه في الغناء وله أكثر من مائة لحن مقدم وما يقارب الأربعين أغنية مغناه بصوته ومسجلة على الأسطوانات وفي دار الإذاعة المركزية.

**لم يسجل على أشرطة الإذاعة سوى** يسير، وأشهر ما غنى " عيونك تسحر العشاق " و " جاهل زين " و " قل للذي " بلحظة " آمري " وأشهر ما لحن من أغاني وغناها فنانون آخرون " بالعيون السود " و " التغريد " و " يا نجوم الليل " و " لوعتي " و " يا اللي وعدت القلب " و " هاتها باكله هات " وهناك عشرات الألحان والقصائد والتي لم تعرف بها أحد سوى المقربين منه، فهو متواضع فيما يقدمه كتواضعه عند الحديث عن نفسه وببساطة أسلوبه في الحديث يشعر المرء أنه أمام رجل يدخل بأفكاره وآرائه إلى القلب، ويكبر الاحترام لهذا المبدع لأنه غير متكلف أو متصنعه في حياته الشخصية أو العامة.

التاريخ الفني الطويل لمحمد سعد الصنعاني وإبداعه في التلحين والغناء والذي ما زال يتواصل دف ويدفع مقابله ضريبة نفسياً وجسدياً، لكن إيمانه بعمله وبمن حوله يجعله يقاوم المرض المزمن الذي ألم به دون خوف أو رهبة منه.

مجلة " الفنون " التقت الفنان محمد سعد الصنعاني بعد خروجه من المستشفى والذي مكث فيه لأكثر من شهرين للعلاج، حاورته في العديد من القضايا الفنية وإرهاصات الأغنية اليمنية وتنوعها وأسباب الجهود في الأغنية حاضراً وفي الوجوه الجديدة الشابة **وفي كل هذه الحوارات يعيدنا الصنعاني إلى المراحل السابقة للغناء منها يتعظ الفنانون والملحنون وتكون ذائعاً لإبداعاتهم.**

يستهل الصنعاني حواره بتميز واختلاف الأغنية اليمنية من منطقة لأخرى فيقول:

وفي اليمن خمسة أنواع للغناء الصنعاني واليافعي اللحجي والعدني والحضرمي وتتميز عن بعضها باختلاف إيقاعاتها وتموجاتها وشعرها وأدبها وتختلف زمن ظهور كل نوع من هذه الأنواع. فالصنعاني ظهر قبل ١٨٠٠م وبعد ظهر الغناء اليافعي ثم الحضرمي ثم اللحجي ثم العدني.

يتوقف محمد سعد الصنعاني عن الحديث ويتبسم، وكان سر ابتسامته وتوقفه عن الحديث هو اندهاشي من أن الغناء العدني يأتي في نهاية مراحل ظهور الأنواع الأخرى من أنواع الأغنية اليمنية وما يمتاز به عن كل أشكال الأغنية اليمنية الأخرى.

استرسل الفنان محمد سعد الصنعاني الحديث وببساطة شديدة وبدون مقدمات :

بدأ الغناء اللحجي بتموجات الدان والركلة ولعبة الناشرية ويمتاز عن بقية أشكال الأغنية اليمنية بإيقاعاته العدة ولكل إيقاع رقصة خاصة به منها ما يتعلق بالرجال ومنها ما يجمع الرجال والنساء معاً. وهو بهذه الميزة يمتاز بشكله ووضعه عن جميع الأغاني. كما يمتاز بتموجاته الصوتية مع الإيقاعات ويعتمد على اللهجة الدارجة وبشكل خاص الشعر اليمني.

ومرة أخرى يتوقف الفنان الصنعاني عن الحديث كمن ذكر شيئاً وبعد برهة وجيزة قال مسترسلاً في الحديث عن بدايات الأغنية اللحجية لقد ظهر ملحن جيد اسمه فضل ماطر في عام ١٩٨٠م وأتى حينها بألحان جديدة مثل " يا مرحبا بالهاشمي " و " ليش الشجن يا خاطري با يصلح الله كل شان " ثم جاء ( البدو ) من منطقة العوالق العلياء والسفلى بأغاني بدوية وشرح وأغاني " الهوب " ثم أتت " سلمى درينة " بلحن أمان يا سيدي أمان " وغناه سعد عبدالله صالح على أسطوانات ( جعفر فون ) عام ١٩٠١م ثم جاء آخر بلحن " حنوا ونوحو معي يا أهل الغرام " وغناه سعد عبدالله. ثم تفرغ أحمد فضل القمندان لجميع الألحان القديمة، وشكل قصائد جديدة شيقة لهذه الألحان، وشكل فرقة يتمتع جميع أفرادها بأصوات عذبة وجذابة، وعمل على صقل هذه الألحان معتمداً على الألحان الشعبية، وأضاف إليها إبداعاته شعراً ولحناً، وجمع الماضي بالحاضر وخاطب الناس في شعره باللهجة الدارجة الأمر الذي أدى إلى انتشار تلك الأغاني وسجلت على الأسطوانات ومنها " يا بو زيد " و " صفا الجابري " و " كل ما جيت أشوفك جيت والباب مردود " و " روضا من السعودية " وهناك أغاني تسجل على الأسطوانات نظراً لقيام الحرب العالمية الثانية.

القمندان كان بالإضافة إلى اهتمامه بالزراعة وما خلفه من ثروة زراعية عمل على نشر الفن مضحياً بثروته في سبيل ازدهاره وهو بذلك خلف ثروتين زراعية وفنية والحديث هنا ما زال للصنعاني :

وبعد موت القمندان نشأت ندوة الجنوب، وتضم شعراء وملحنين منهم صالح الفقيه وعبدالله هادي سبيت وصالح نصيب وفضل محمد اللحجي ومحسن بن أحمد مهدي وصالح مهدي بن علي، وظهرت عن هذه الندوة أغاني كثيرة منها " باسم هذا التراب " و " كم يقول لي الليل توب " و " يا باهي الجبين " و " ليه يا هذا الجميل " و " يقولوا لي نسي حبه " و " سألت العين " لمحمد صالح حمدون.

كما ظهرت الندوة الموسيقية اللحجية، وممن تفهمهم صلاح ناصر كرد ومحمد سعد الصنعاني والأمير عبده عبد الكريم وعبد الكريم توفيق ( وكان حينها طفلاً ) وأخيراً فيصل علوي.

حدث احتكاك وتنافس شديد بين الندوتين، وأثمر هذا التنافس ظهور أغاني جديدة منها " بالعيون السود " و " لوعتي " و " ردد التغريد " و " يا شاكي غرامك " وهي من ألحان الصنعاني، وانتشرت هذه الأغاني بين الناس.

كما حدث تنافس كبير بين عبدالله هادي سبيت وفضل محمد لحجي ومحمد سعد الصنعاني وسعودي أحمد صالح، وظهرت لهم بهذا التنافس أغاني جديدة. وقد توقف البعض عن التلحين مثل عبدالله هادي سبيت، ووفاة محمد فضل لحجي وبقي سعودي محتفظاً بأكثر ألحانه ولم يظهر منها حتى الآن سوى القليل لانعدام الفنانين المتميزين لديه من وجهة نظره. ولا زال محمد سعد الصنعاني يواصل التلحين مقدماً ما لديه منها ومحتفظاً بألحان أخرى ينوي تقديمها قريباً بأصوات فنانين ناشئين كأمل كعدل وسعيد سيلان، وأخرى ستقدم للفنانة الكبيرة فتحية الصغيرة ولفرقة الإنشاد في محافظة لحج.

الفنان محمد سعد الصنعاني يرى أنه لا يوجد حالياً ركود في الأغنية اللحجية، ويقول :

الفن اللحجي يشهد حالياً عملية تطور تنسجم وأصالته فقد ظهر ملحنون جدد منهم محسن عبد الكريم عطا وأحمد عباد ولديهم ألحان جديدة وشيقة، كما ظهر شعراء جدد كسالم حجيري، وليس صحيحاً أن الأغنية اللحجة لا زالت تدور في إطار ما قدمه القمندان، فلقد تطورت الأغنية شأنها شأن تطور القصيدة، وتختلف من حيث التموجات الصوتية مع الاحتفاظ بالطابع اللحجي ولوازمه نضرب أمثلة على ذلك بأغاني " يقولوا لي الهوى قسمة " لسعودي أحمد صالح، وأغنية " صحيني " لحني و " باحلف بسحر العيون " لي أيضاً، وأخيراً لحنت " أوبريت " سيقدم يحتوي على خمس أغاني جديدة ألحان محمد سعد الصنعاني ومثلها أغنية " حبيبي يوم لاقيته " .

يرى البعض أن الأغنية العدنية لا تتمتع بأصالة أو جذور، وليس لها تراث، بل وينفي البعض شيئاً اسمه الأغنية العدنية، وبحسن نية أو عن عمد أو القصر في الرؤية يحاول البعض طمس معالم العدنية من أصول الأغنية، الفنان محمد سعد الصنعاني يدحض كل تلك الادعاءات قائلاً :

" كان الصيادون في عدن قبل الاحتلال بعدن يقدمون أغاني مطرب، ولأن غناؤهم يغنى مع الاصطياد في البحر وحين ترمى الأشباك، وهناك أشعار تغنى عن البحر وعن الأشباك وعن الحب والهوى في الحدود المنظورة والتي كانوا يتعاطونها.

لقد بدأت ملامح الغناء العدني تتحد ابتداءً من ١٩١٢م على أيدي فنانين وشعراء وأدباء من عدن نفسها.. وهذا يعني أن للفن العدني جذوراً بدأت من حفرات (السادية والأحمدية). ومن بعض قصائد العيدروس قصيدة " ليت تعلم ما بقلبي يا حبيبي " و " ذا نسيم القرب نسنس " و " أشرقت بهجة " و " عليك بالله تكلمني " من شعر العيدروس وألحان عدنية. وللزيادة في التأكيد سجلت أغاني عدنية على أسطوانات ( بولزن ) بلحن فضل ماطر منها " عليك بالله تكلمني " ، ومن التراث العدني أيضاً غنى فضل ماطر " عقربي " على الحسيني سلام " و " يا شهر يا سامر الليلة مت با تغيب " و " ليل يا ذي الغوافي " و " اسرى نصيف الليل من غير عزيمة.. يا سيمو ه " .

والحديث لا زال للصنعاني : كانت اسطوانات هذه الأغاني تباع بنصف شلن للاسطوانة الواحدة، تحتوي على على تراث عدني صحيح يتميز بإيقاعاته وغنائه العدني المختلف عن باقي الإيقاعات. كما لا صحة لما يقال بأن الإيقاعات العدنية مأخوذة من الإيقاعات المصرية.. فذلك لم يكن موجوداً في ذلك الوقت.

أما في الوقت الحالي فقد عمد البعض إلى مزج إيقاعات عدنية بإيقاعات مصرية، الأمر الذي يسيء إلى الإيقاع والتراث العدني، وهذا يعود إلى عدم عناية الفنانين العدنيين بتراثهم واهتمامهم به، وواجب عليهم أن يقتدوا بالفنان أحمد فضل القمندان الذي جمع التراث ودرسه، وكون فرقة خاصة به صقل من خلالها هذا التراث وأخرجه إلى عامة الناس بثوب جديد وقشيب عمل البحث عن الطموحات الخاصة على حساب التراث.

الفنان محمد سعد الصنعاني عدد هنا مسئوليات الفنانين الكبار أمام مسألتي رفع الوعي والذوق الفني للعامة من الناس وصقل المواهب الجديدة، فيقول :

احترام الفنان لفنه يؤدي إلى الإبداع الجيد لحناً وغناءً، وانعدام الإبداع الجيد للفنانين الكبار يؤدي إلى خلو الساحة منهم لفنانين أقل شأناً، وفي ظل انعدام التوجيه والصقل للمواهب الشابة الجديدة تبرز الأغاني الضعيفة في مستواها، وهذا بدوره يؤثر على مستوى الوعي الفني لدى عامة الناس بشكل سلبي وهنا الخطورة تكمن في إحداث تدن في الذوق والمعرفة الفنية.

إن ما هو مطلوب من فنانينا الكبار أن يقفوا أمام مسئولياتهم في هذا الجانب، ويعملوا على الخروج من صحة التقوقع التي يعيشها البعض منهم. وهنا أمامهم مسئوليات أمام المجتمع، وهما قضية إبداع وخلق الجديد شكلاً ومضموناً والاهتمام بالمواهب وصقلها وتوجيهها الوجه الصحيح،إذا كانت الدولة تلعب دوراً في هذا الجانب من خلال إنشاء المعاهد المتخصصة والاهتمام بالمراكز الثقافية والتي تحتوي على فرق فنية، فإن ذلك لا يعفي الفنانين من مسؤولياتهم من أجل رفع مستوى الوعي والذوق للعامة من الناس.

والعمل مع باقي وسائل الإعلام الأخرى على تشكيل الرأي العام وفق التوجه العام الذي نهدفه.

ذلك واجبنا جميعاً ملحنين ومغنيين وشعراء.

الفنان محمد سعد الصنعاني يرفع يده ويبتسم لي.. إنها إشارة لإنهاء الحديث أو التوقف عند هذه النقطة، وإن كنا على موعد آخر معه يقف على قدميه ويتجه صوب جهاز التسجيل، يفتحه ليتصدح أنغام شرقية موسيقية لتشدوا أم كلثوم " شمس الأصيل " .

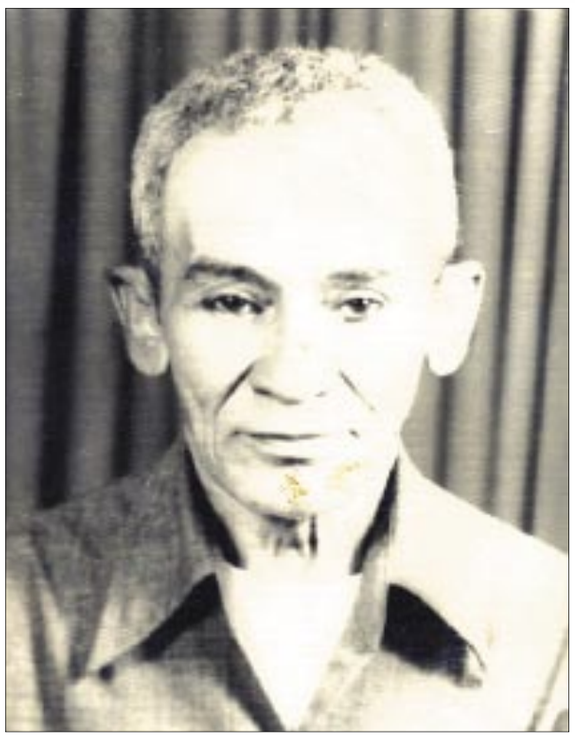

**للأغنية العدنية إيقاعاتها الخاصة وتراثها وفي عام 1912م بدأت ملامحها تتحد على أيدي شعراء وملحنين من عدن**

**بدأت الأغنية اللحجية كفلكلور وطوره الملحن فضل ماطر عام 1895م بألحان جديدة**

**القمندان هو من جمع كل الألحان الشعبية وصاغ لها دررا من القصائد وجدد الألحان لتظهر الأغنية اللحجية**

**عام 1901م أتت والدتي بلحن " أمان يا سيدي أمان " وتلاها العوالق بالشرح البدوي وأغاني ( الهوب )**

**في الذكرى الـ (١٦) لرحيل الفنان محمد سعد صنعاني : قصيدة في حبه ووصفه كفنان وإنسان**

## وسامك حب كل الناس

كلمات : الشاعر / رشاد أحمد مشبح

يا كلمة حب تغمرني
وأجمل لحن يطربني
يا معنى أقصد ما أعني
معاني الحب بك تزدان
محمد سعد يا فنان

عطاؤكم عطر الآفاق
بديع الخلق والأخلاق
يا غنوة حب لها معنى
تتجدد مدى الأزمان
محمد سعد يا فنان

حسنك في الكرى فتان
حسين الطبع والاحسان
غنوة لوعتي تعني
فنك للفنون عنوان
محمد سعد يا فنان

رشيق الخط انا ملكم
يا أرفع ذوق في الألوان
رقيق في الناس تعاملكم
يا همسة روح في الوجدان
محمد سعد يا فنان

فانته لم تكن منسي
بلب الناس وفي حسي
موجي لحج بيرمها التونسي
يا غنوة مالها أثمان
محمد سعد يا فنان

سلاماً مرهف الإحساس
يا بسمة لنا نبراس
وسامك حب كل الناس
داخل وخارج الأوطان
محمد سعد يا فنان

# وفاة الشاعرة العراقية الرائدة نازك الملائكة عن 84 عاما

القاهرة/14اكتوبر / رويترز

توفيت يوم الأربعاء بمستشفى في العاصمة المصرية الشاعرة العراقية الرائدة نازك الملائكة عن ٨٤ عاما إثر هبوط حاد في الدورة الدموية.

وأبلغت الشاعرة العراقية ريم قيس كبه وهي من أسرة الملائكة رويترز أن نازك الملائكة التي عانت من أمراض الشيخوخة في الأيام الأخيرة تدهورت صحتها يوم الأربعاء فجأة ثم فارقت الحياة. ولدت نازك صادق الملائكة في بغداد يوم ٢٣ أغسطس عام ١٩٢٣ في أسرة تحتفي بالثقافة والشعر فكانت أمها تنشر الشعر في المجلات والصحف العراقية باسم أدبي هو (أم نزار الملائكة) أما أبوها صادق الملائكة فترك مؤلفات أهمها موسوعة (دائرة معارف الناس) في عشرين مجلدا.

ودرست الشاعرة الراحلة اللغة العربية في دار المعلمين العالية وتخرجت فيها عام ١٩٤٤ كما درست الموسيقى بمعهد الفنون الجميلة. ثم درست اللغات اللاتينية والانجليزية والفرنسية وأكملت دراستها في الولايات المتحدة عام ١٩٥٤ حيث حصلت بعد عامين على شهادة الماجستير في الأدب المقارن من جامعة وسكنسن.

والملائكة لقب أطلقه على عائلة الشاعرة بعض الجيران بسبب ما كان يسود البيت من هدوء ثم انتشر اللقب وشاع وحملته الأجيال التالية.

وعملت الملائكة بالتدريس في كلية التربية ببغداد ثم بجامعة البصرة ثم بجامعة الكويت وتعد من أبرز رواد الشعر العربي الحديث الذين تمردوا على الشعر العمودي التقليدي وجددوا في شكل القصيدة حين كتبوا شعر التفعيلة متخلين عن القافية لأول مرة في تاريخ الشعر العربي.

ونشرت الشاعرة قصيدتها الشهيرة (الكوليرا) عام ١٩٤٧ فسجلت اسمها في مقدمة مجددي الشعر مع الشاعر العراقي الراحل بدر شاكر السياب (١٩٢٦- ١٩٦٤) الذي نشر في العام نفسه قصيدته (هل كان حبا؟) واعتبر النقاد هاتين القصيدتين بداية ما عرف فيما بعد بالشعر الحر.

وسجلت نازك الملائكة في كتابها (قضايا الشعر الحديث) أن "بداية حركة الشعر الحر كانت سنة ١٩٤٧ في العراق. ومن العراق بل من بغداد نفسها زحفت هذه الحركة وامتدت حتى غمرت الوطن العربي كله وكادت بسبب تطرف الذين استجابوا لها تجرف أساليب شعرنا العربي الأخرى جميعا.

"وكانت أول قصيدة حرة الوزن تنشر قصيدتي المعنونة (الكوليرا) وكنت قد نظمت تلك القصيدة ١٩٤٧ أصور بها مشاعري نحو مصر الشقيقة خلال وباء الكوليرا الذي دهمها وقد حاولت فيها التعبير عن وقع أرجل الخيل التي تجر عربات الموتى من ضحايا الوباء في ريف مصر. وقد ساقتني ضرورة التعبير إلى اكتشاف الشعر الحر."

وصدر ديوانها الأول (عاشقة الليل) عام ١٩٤٧ ببغداد ثم توالت دواوينها التالية ومنها (شظايا ورماد) عام ١٩٤٩ و(قرارة الموجة) عام ١٩٥٧ و(شجرة القمر) عام ١٩٦٨ و (يغير ألوانه البحر) عام ١٩٧٠. كما صدرت لها عام ١٩٩٧ بالقاهرة مجموعة قصصية عنوانها (الشمس التي وراء القمة).

ومن بين دراساتها الأدبية (قضايا الشعر الحديث) عام ١٩٦٢ و(سايكولوجية الشعر) عام ١٩٩٢ فضلا عن دراسة في علم الاجتماع عنوانها (التجزيئية في المجتمع العربي) عام ١٩٧٤.

ورحبت الشاعرة شعرا بثورة رئيس الوزراء العراقي الأسبق عبد الكريم قاسم عام ١٩٥٨ لكنها اضطرت لترك العراق وقضت في بيروت عاما كاملا بعد انحراف قاسم الذي "استهوته شهوة الحكم."

ورغم غياب نازك الملائكة عن المنتديات الثقافية في السنوات الأخيرة فإنها ظلت في دائرة الضوء إذ حصلت على جائزة البابطين عام ١٩٩٦ وجاء في قرار منحها الجائزة أنها "شقت منذ الاربعينيات للشعر العربي مسارات جديدة مبتكرة وفتحت للأجيال من بعدها بابا واسعا للإبداع دفع بأجيال الشعراء الى كتابة ديوان من الشعر جديد يضاف إلى ديوان العرب... نازك استحقت الجائزة للريادة في الكتابة والتنظير والشجاعة في فتح مغاليق النص الشعري."

كما أقامت دار الأوبرا المصرية يوم ٢٦ مايو ١٩٩٩ احتفالا لتكريمها " بمناسبة مرور نصف قرن على انطلاقة الشعر الحر في الوطن العربي" وشارك في الاحتفال الذي لم تشهده نازك الملائكة لمرضها شعراء ونقاد مصريون وعرب بارزون إضافة إلى زوجها الدكتور عبد الهادي محبوبة الذي أنجبت منه ابنها الوحيد البراق.

**أخي المواطن :**

# أحذروا موسم الرياح والأعاصير البحرية .. ففي السباحة خطر دا هم